حياة الصحابة على
مائدة القرآن

وصايا العلماء
لتلاميذهم وأبنائهم

(١) وصية الإمام ابن عبد البرّ .

(٢) وصية الإمام الباجي لولديه .

(٣) وصية الإمام ابن الجوزي لولده .

(٤) وصية الإمام ابن قدامة المقدسي .

(٥) وصايا فريدة وحكم مفيدة .

(٦) من وصايا الإمام ابن القيم الجوزية .

(٧) وصية العلامة الشيخ محمد شاكر لطلاب العلم .

(٨) كلمات للشباب للعلامة الشيخ سليمان الندوي .

(٩) وصية الأستاذ أحمد أمين لولده .

obeikandl.com

وصية الإمام ابن عبد البرّ

الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي (توفي ٤٦٣هـ) وله كتب بديعة في الفقه والتربية، ومن كتبه (جامع بيان العلم وفضله) و (الكافي في فقه أهل المدينة) وقد ألحق به رسالة نفيسة في الآداب والوصايا لطلاب العلم.

وإليك نماذج من هذه الوصايا البديعة[١]، حيث يقول رحمه الله :

(جماع الخير كلِّه تقوى الله **U**، واعتزال شرور الناس، ومن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

ومن طلب العلم لله فالقليل يكفيه، ومن طلبه للناس فحوائج النَّاس كثيرة، وأَزينُ الحلي على العالم : التَّقوى وحقيقٌ على مَن جالس عالماً أن ينظر إليه بعين الإجلال، وينصتَ له عند المقال، وأن تكون مراجعته له تفهماً لا تعنُّتاً[٢]، وبقدر إجلال الطالب للعالم ينتفع بما يفيد من علمه .

ومن شيم العاقل والعالم : أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً لسانَهُ، متحرزاً من إخوانه[٣]، والمغرور: من اغترَّ بمدحهم له؛ والجاهل: مَنْ صدَّقهم على خلاف ما يعرف من نفسه .

وبر الوالدين فرض لازم، وهو أمر يسيرٌ على من يسرَّه الله له، وبرهما : خفض الجناح، ولين الكلام، وألاَّ ينظر إليهما إلا بعين المحبة والإجلال، ويتوقَّى سخطهما بجهده، ويسعى في مسرتهما بمبلغ طاقته، وإدخال الفرح عليهما من أفضل أعمال البِر.

---

(١) ينظر: الجامع للآداب لابن عبد البر – دار ابن حزم – الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

(٢) أي : يكون سؤاله للعالم طلباً للعلم والفهم بهدف الاسترشاد، وليس بهدف التعجيز وإيقاع العلماء في الزلل.

(٣) المقصود بالتحرز هنا الحذر ممن لاتؤمن صحبتهم ، ومن يتظاهر بالأخوة والمودة وهو في حقيقة الأمر طالب منفعة وصاحب مصلحة ، إذا فاتت عليه سخط ، وإن تحققت أكثر من مدحهم والثناء عليهم بما ليس فيهم ، فالجاهل من صدَّقهُ على خلاف مايعرف من نفسه.

وأبغض الخلق إلى الله وأبعدهم من رسول الله ﷺ، المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، **الملتمسون لأهل البر العثرات .**

ومن وعظ فليخففْ ، فإنه إذا أسرف كان بالموعظة أَوْلى من الموعوظ

ومن فُتح له باب من الخير فليبادر إليه وليثبت عليه، فإنه لا يدري متى يُغلق عليه [١٢٨].

وكل آت قريب، والموت لا محالة آت، فمن أكثر ذكره وجعله نصب عينيه صرفه ذلك عن الرغبة في الدنيا، وحمله على التقوى .

والزهد في الدنيا قصر الأمل، ولا يصحب المرء إلى قبره ولا ينفعه فيه إلا ما قدَّم من صالح عمله) .

---

(١٢٨) **وما أحسن قول الإمام الشافعي رحمه الله :**

إذا هبَّتْ رياحك فاغتنمها ... فعُقبى كل خائفةٍ سكونْ

ولاتغفل عن الإحسان فيها ... فما تدري السكون متى يكون؟

obeikandl.com

وصية الإمام الباجي لولديه

من بدائع الوصايا وصية الإمام الحافظ أبي الوليد الباجي الأندلسي(المتوفى ٤٧٤هـ) أوصى بها ولديه وهما القاسم وأبو الحسن، وقد نشأ هذان الولدان نشأة صالحة في رعاية أبيهما الإمام الباجي، ودرسا عليه العلوم الشرعية، وقد حرص على توجيه تلك الوصية إليهما وهما في ريعان الشباب.

وإليك نماذج من هذه الوصية النفيسة، حيث يقول رحمه الله [١٢٩]:

(**يا بَنيَّ** - هداكما الله وأرشدكما ووفقكما وعصمكما وتفضَّل عليكما بخير الدنيا والآخرة، ووقاكما محذورهما برحمته – إنكما لما بلغْتما الحدَّ الذي قرب فيه تعيُّن الفروض عليكما وتوجُّه التكليف إليكما [١٣٠]، وتحققتُ أنكما قد بلغتما حدَّ من يفهم الوعظ ويتبين الرُشد ويَصلُح للتعلم والعلم؛ لزمني أن أقدِّم إليكما وصيتي، وأُظهر إليكما نصيحتي، مخافة أن تخترمني منيةٌ[١٣١] ولم أبلغ مباشرة تعليمكما وتدريبكما وتفهيمكما، فإن أنسأ[١٣٢] الله في الأَجل فسيتكرر النصح والتعليم والإرشاد والتفهيم ...، وإن حال بيني وبين ذلك ما أتوقعه وأظنُّه من اقتراب الأجل وانقطاع الأمل ففيما أرسمه [١٣٣] من وصيتي وأبيِّنه من نصيحتي ما إن عملتما به ثبتما على منهاج السلف الصالح، وفزتما بالمتجر الرابح [١٣٤] .

---

(١٢٩) المرجع : كتاب (وصية الإمام الحافظ أبي الوليد الباجي لولديه)، اعتنى بها: جلال علي الجهاني، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

(١٣٠) وهذا يدل على أن الإمام الباجي وجَّه تلك الوصية بما فيها من معانٍ نفيسة إلى ولديه وهما في ريعان الشباب قبيل سن البلوغ، فتأمل حرص سلفنا الصالح وعنايتهم بأبنائهم منذ نشأتهم، وانظر البون الشاسع بين هذه التربية البديعة وما عليه حال شبابنا اليوم من ضياع وانشغال بتوافهِ الأمور .

(١٣١) تخترمني منية : يأخذني الموت، اخترمته المنية : أخذته.

(١٣٢) أي : أخَّر .

(١٣٣) أي : أكتبه .

(١٣٤) وقد أصبح ابنه القاسم خَلفاً لأبيه في مجلس التدريس، وأما أبو الحسن فقد توفي في حياة أبيه، وكان نبيلاً ذكياً، فرثاه أبوه

واعلما أنه لا أحدَ أنصحُني لكما، ولا أشفقُ مني عليكما ... وأقلُّ ما يوجب ذلك عليكما أن تصغيا إلى قولي، وتتَّعظا بوعظي، وتتفهما إرشادي ونصحي ...

وأول ما أوصيكما به ما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوبُ : M يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ L [١٣٥].

وأنهاكما عما نهى عنه لقمان ابنه وهو يعظه : M يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ L [١٣٦].

فإن مُتُّما على هذا الدين الذي اصطفاه الله واختاره وحرَّم ما سواه فأرجو أن نلتقي حيث لا نخاف فُرْقَةً ولا نتوقع إزالة[١٣٧]، ويعلم الله شوقي إلى ذلك وحرصي عليه، كما يعلم إشفاقي من أن تزلَّ بأحدكما قدمٌ، أو تعدل به فتنة، فيحلَّ عليه سخط الله تعالى ما يُحلُّه دار البوار، ويوجب له الخلود في النار، فلا يلتقي مع المؤمنين من سلفه، ولا ينفعه الصالحون من آبائه ...

وتنقسم وصيتي لكما قسمين : فقسمٌ فيما يلزم من أمر الشريعة، أبين لكما منه ما يجب معرفته، ويكون فيه تنبيه على ما بعده . **وقسم** فيما يجب أن تكونا عليه في أمر دنياكما وتجريان عليه بينكما .

فأما القسم الأول :

فالإيمان بالله **U** وملائكته وكتبه ورسله، والتصديق بشرائعه، فإنه لا ينفع مع الإخلال بشيء من ذلك عمل .

والتمسك بكتاب الله تعالى والمثابرة على تحفظه وتلاوته، والمواظبة على التفكر في معانيه وآياته،

بقصائد، ومنها قوله يرثي ابنه وأخاه :

لئن غُيبا عن ناظريَّ تبوَّءا فؤادي، لقد زاد التباعد في القرب

(١٣٥) سورة البقرة آية/ ١٣٢ .

(١٣٦) سورة لقمان آية/ ١٣ .

(١٣٧) وهذا هو وعد الله لعباده الصالحين أن يجمعهم مع ذرياتهم الصالحة في جنته، قال تعالى: M وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ L [الطور : ٢١] .

والامتثال لأوامره، والانتهاء عن نواهيه وزواجره .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : (تركتُ فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله تعالى وسنتي، عَضُّوا عليها بالنواجذ) (١٣٨) .

وقد نصح لنا النبي ﷺ وكان بالمؤمنين رحيماً، وعليهم مشفقاً، ولهم ناصحاً، فاعملا بوصيته، واقبلا نصحه، وأثبِتا في أنفسكما المحبة له، والرضا بما جاء به، والاقتداء بسننه، والانقياد له، والطاعة لحكمه، والحرص على معرفة سنته وسلوك سبيله، فإن محبته تقود إلى الخير وتنجي من الهلكة والشَّرِّ ...

واعلما أنكما إنما تصلان إلى أداء هذه الفرائض، والإتيان بما يلزمكما منها - مع توفيق الله لكما - بالعلم الذي هو أصل الخير، وبه يُتوَصَّل إلى البِرِّ .

والعلم سبيل لا يفضي بصاحبه إلا إلى السعادة، ولا يقصر به عن درجة الرفعة و الكرامة، قليلُه ينفع، وكثيرهُ يُعلي ويرفع، كنزٌ يزكو على كل حال، ويكثر مع الإنفاق، ولا يغصبه غاصب، ولا يُخاف عليه سارق ولا محارب ...

وأفضل العلوم علم الشريعة، وأفضل ذلك - لمن وُفِّقَ - أن يجوِّد قراءة القرآن، ويحفظ حديث النبي ﷺ، ويعرف صحيحه من سقيمه ...

وعليكما بالصدق فإنه زَيْنٌ، وإياكما والكذب فإنه شَينٌ، ومن شُهر بالصدق فهو ناطق محمود، ومن عُرِف بالكذب فهو ساكت مهجور مذموم، وأقل عقوبات الكذَّاب ألا يُقبل صدقُه ولا يتحقق حقه ...

وأما القسم الثاني :

مما يجب أن تكونا عليه وتتمسكا به فأن يلتزم كل واحد منكما لأخيه بالإخلاص والإكرام، والمراعاة في السرِّ والعلانية، والمراقبة في المغيب والمشاهدة، وليلزم أكبركما لأخيه الإشفاق عليه، والمسارعة إلى كل ما يحبه ... ويلتزم أصغركما لأخيه تقديمه عليه، وتعظيمه في كل أمر ... وتصويب قوله وفعله، فإن أنكر منه في الملأ أمراً يريده أو ظهر إليه خطأ فيما يقصده فلا يُظهر إنكاره عليه، ولا يجهر في الملأ

(١٣٨) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢ / ٨٩٩، والحاكم ١ / ٩٣ بدون زيادة (عضوا عليها بالنواجذ).

بتخطئتهِ، وليبين له ذلك على إنفراد ورفقٍ...

وإياكما والتنافس والتقاطع والتدابر والتحاسد، فإنه مما يفسد دينكما ودنياكما، ويضع من قدركما، ويحطُّ من مكانكما، ويحقِّر أمركما عند عدوكما، ويصغِّر شأنكما عند صديقكما .

وما علمتُ أهلَ بيتٍ تقاطعوا وتدابروا إلا هلكوا وانقرضوا، ولا علمتُ أهل بيت تواصوا وتعاطفوا إلا نموا وكثروا وبورك لهم فيما حاولوا ...

واعلما أنَّ الجوار قرابة ونسب، فتحبَّبا إلى جيرانكما كما تتحببان إلى أقاربكما، ارعيا حقوقهم في مشهدهم ومغيبهم، وأَحسِنا إلى فقيرهم، وبالغا في حفظ غيبهم، وعلِّما جاهلهم ...

وعلِّقا رجاءكما بِربكُما، وتوكَّلا عليه، فإنَّ التوكل عليه سعادة، واستعينا بالدعاء، فإنَّ الدعاء سفينة لا تعطب، وحزبٌ لا يُغلب، وجند لا يهرب ...

وإياكما أن تُطغيَكما النعمةُ فتقصِّرا عن شكرها أو تنسيا حقها، أو تظنَّا أنكما نِلتُماها بسعيكما، أو وصلتما إليها باجتهادكما، فتعود نقمة مؤذية، وبلية عظيمة .

وعليكما بطاعة من ولَّاهُ الله أمركما فيما لا معصية فيه لله تعالى، فإن طاعته من أفضل ما تتمسكان به وتعتصمان به ممن عاداكما ... فالقيا الطاعة وملازمة الجماعة، فإن السلطان الجائر الظالم أرفقُ بالناس من الفتنة، وانطلاق الأيدي والألسنة ...

وإياكما والاستكثار من الدنيا وحطامها، وعليكما بالتوسط فيها... ومن احتاج منكما فليُجملْ في الطلب، فإنه لا يفوته ما قُدِّر له، ولا يدرك مالم يقدَّر له...

فإن فقدتما وصيتي هذه ونسيتما معناها فعليكما بما ذكر الله تعالى في وصية لقمان لابنه فإن فيها جماع الخير .

وإني لأوصيكما وأعلمُ أني لن أغني عنكما من الله شيئاً :M إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ L [١٣٩] وهو حسبنا ونعم الوكيل).

(١٣٩) سورة يوسف آية/ ٦٧ .

وصية الإمام ابن الجوزي لولده

الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧هـ) فقيه واعظ، وعالم خبير بتربية النفوس، اشتهرت مجالس وعظه التي يحضرها الآلاف، وإذا كان درسه بعد العصر أقبل الناس إلى المجلس منذ الضحى يتسابقون إلى أماكنهم، ويحضر مجلسه عشرة الآف وربما حضر عنده مائة ألف[١]، وله مؤلفات كثيرة مشهورة، ومن أبرزها رسالته القيّمة (لفتة الكبد في نصيحة الولد) وهي رسالة أبوية مشتملة على وصايا تربوية كتبها لابنه محمد المكنى بأبي القاسم.

وإليك نماذج من هذه الوصايا البديعة[٢] :

الحث على طلب الفضائل :

اعلم **يا بني !** - وفَّقك الله -، أنه لم يُميَّز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك، وأَعْمِل فِكرك، واخلُ بنفسك، تعلم بالدليل أنَّك مخلوق مكلَّف، وأنَّ عليك فرائض أنتَ مطالبٌ بِهَا، وأنَّ الملكين عليهما السَّلام يُحصيان ألفاظك ونظراتك، وأنَّ أنفاسَ الحي خُطُواتٌ إلى أَجَلِهِ، ومقدارَ اللَّبْثِ في الدنيا قليل، والحبسَ في القبور طويل، والعذابَ على موافقة الهوى وبيل[٣]، فأين لذَّة أمس؟! قد رحلتْ وأَبقتْ ندماً، وأين شهوةُ النفس ؟! نكَّست رأساً وأزلَّت قدماً .

وما سعد من سعد إلا بمخالفة هواه، ولاشقي من شقي إلا بإيثار دنياه ..

والكسلُ عن الفضائل بئس الرفيق، وحبُّ الراحة يورث الندم..، فانتبه وأتعِبْ نفسك، واعلم أنَّ أداء الفرائض واجتناب المحارم لازمٌ، فمتى تعدَّى الإنسان فالنَّار النَّار .

---

(١) ينظر : سير أعلام النبلاء – للإمام الذهبي ذيل طبقات الحنابلة – لابن رجب الحنبلي.

(٢) لفتة الكبد في نصيحة الولد، للإمام ابن الجوزي، باعتناء الدكتور مروان قباني – المكتب الإسلامي–١٤٠٢هـ وطبعة أخرى بعناية الأستاذ بسام عبدالوهاب الجابي – دار ابن حزم – ١٤١٤هـ.

(٣) وبيل : شديد

openkanar.com

ثم اعلم أن طلب الفضائل نهايةُ مراد المـجتهدين.. وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم..

فينبغي لذي الهمَّة أن يترقَّى إلى الفضائل، فيتشاغلَ بحفظ القرآن وتفسيره، وبحديث رسول الله ﷺ، وبمعرفة سِيره وسيَرِ أصحابه والعلماء بعدهم، ليتخيّر مرتبة الأعلى فالأعلى ..

وما تقف همةٌ إلا لخساستها، وإلا فمتى عَلَت الهمة لم تقنع بالدون .

ومتى رأيتَ في نفسك عجزاً فَسَلِ المنعم، أو كسلاً فالجأ إلى الموفِّق، فلن تنـال خـيراً إلا بطاعتـه، ولا يفوتُك خير إلا بمعصيته.

ومَن الذي أقبل عليه فلم يَرَ كلَّ مرادٍ لديه ؟

ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة ؟ أو حَظيَ بِغَرَض من أغراضه ؟! .

تجارب الحياة :

وإني لأذكر لك بعض أحوالي لعلَّك تنظر إلى اجتهادي، وتسأل الموفِّق لي . فإني أذكر نفـسي ولي همَّـة عالية، وأنا في المكتب[١٤٠] ابن ستِ سنين، وأنا قرينُ الصبيان الكبار، قد رُزقت عقلاً وافـراً في الـصِّغر يزيدُ على عقل الشيوخ، فما أذكر أني لعبتُ في طريقٍ مع صبي قطُّ، ولا ضحكتُ ضَحِكاً جارحاً، حتَّـى أني كنت - وَلي سبعُ سنين أو نحوها – أحضر رحبة الجـامع [١٤١]،أطلـبُ المــحدث، فيحـدِّث بالـسَّند الطويل، فأحفظ جميع ما أسمع، وأرجع إلى البيت فأكتبه[١٤٢]...

---

(١٤٠) في المكتب:أي في الكُتَّاب الذي يتلقى فيه الطفل التعليم وحفظ القرآن الكريم .

(١٤١) رحبة الجامع : ساحة المسجد.

(١٤٢) وقد قال رحمه الله في كتابه (صيد الخاطر) ص/٢١٣ (ولقد كنت في حلاوة طَلَبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عنـدي أحلى من العَسَلِ، لأجْل ما أطلبُ وأرْجو، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج إلى طلب الحديث، فأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلّما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتـي لا تـرى إلا لـذة تحـصيل العلم. فأثمر ذلك عندي أني عُرِفت بكثرة سماعي لحديث سير الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله وآدابـه، وأحـوال الصحابة وتابعيهم).

obeikandi.com

فأحسنَ الله تدبيري وتربيتي، وأجراني على ما هو الأصلح لي، ودفع عني الأعداء والحُسَّاد ومَن يكيدني، وهيَّأ لي أسباب العلم، وبعثَ إليَّ الكسب من حيث لا أحتسب، ورزقني الفهم وسرعة الحفظ وجودة التصنيف، ولم يُعْوِزْني شيئاً من الدنيا، بل ساق إليَّ مقدار الكفاية وأزيد، ووضع لي في قلوب الخلق من القبول فوق الحدِّ ...

ولقد كنتُ أدور على المشايخ لسماع الحديث، فينقطع نَفَسي من العَدْوِ[١٤٣]، لئلاَّ أُسبَق، وكنتُ أُصبح وليس لي ما آكلُ، وأُمسي وليس لي شيءٌ، وما أذلني الله لمخلوقٍ، ولكنه ساق رزقي لصيانة عِرضي، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح، وها أنا، ترى ما قد آلت الحال إليه، وأما أجمعُه لك في كلمة واحدةٍ، وهي قوله تعالى: M وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ L [١٤٤].

التعجيل بالتوبة واغتنام الأعمار

فانتبه يا بنيَّ لنفسك، واندم على ما مضى من تفريطك، واجتهد في لحاق الكاملين، مادام في الوقت سَعَةٌ، واسقِ غصنك ما دامت فيه رُطوبة، واذكر ساعاتك التي ضاعت، فكفى بِهَا عظةٌ، ذهبت لذَّةُ الكسل فيها، وفاتت مراتب الفضائل، وقد كان السَّلف رحمهم الله يُحبُّون جمع كلِّ فضيلةٍ، ويبكون على فوات واحدةٍ منها .

واعلم يا بني أنَّ الأيام تَبْسُطُ ساعات، والسَّاعاتُ تَبْسطُ أنفاساً، وكل نَفَسٍ خزانةٌ، فاحذر أن تُذهبَ نَفَساً في غير شيء، فترى يوم القيامة خزانةً فارغة، فتندم .

وقد قال رجل لعامر بن قيس : قف أكلِّمْكَ ! فقال : أَمْسِكِ الشمسَ [١٤٥].

وفي الحديث عن جابر t عن النبي ﷺ قال: (من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرِسْت لهُ نخلةٌ في الجنَّةِ) [١٤٦]. فانظر إلى مُضَيِّع الساعات كم يفوتُه من النَّخل !!

---

(١٤٣) أي : من سرعة الجري.

(١٤٤)سورة البقرة آية / ٢٨٢.

(١٤٥) أي : أن الزمن يمضي ولن أضيع جزءاً منه إلا إذا استطعت إيقاف الشمس.

(١٤٦) رواه الترمذي رقم : ٣٤٦٤.

obeikandi.com

التقوى خير زاد

يابني! ومتى صحَّت التقوى رأيت كل خير، فالمتقي لا يرائي الخلق، ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومن حَفظ حدود الله حفظه الله ...

واعلم، يا بني ! أنَّ أوفى الذخائر غضُّ الطرف عن محرَّم، وإمساكُ اللسان عن فضول كلمةٍ، ومُراعاةُ حدٍّ [١٤٧]، وإيثارُ الله سبحانه وتعالى على هوى النَّفس .

وحاسبْ نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطوة، فإنَّك مسؤول عن ذلك، وعلى قدرِ انتفاعك بالعلم ينتفع السَّامعون، ومتى لم يعمل الواعظ بعلمهِ، زلَّتْ موعظتُه عن القلوب، كما يَزلُّ الماء عن الحجر، **فلا تَعِظَنَّ إلا بِنيَّة، ولا تمشينَّ إلا بنيَّة**، ولا تأكلنَّ إلا بنيَّة[١]، ومع مطالعات أخلاق السلف ينكشف لك الأمر .

وأد إلى كل ذِي حقٍّ حقَّه، من زوجة أو ولد أو قرابة، وانظر كلَّ ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تودعها إلا أشرف ما يمكن، ولا تهمل نفسك، وعوِّدها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرُّك يوم الوصول إليه، كما قيل :

يا من بدنياه اشتغل وغرَّه طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

(١٤٧) أي : مراعاة حدود الله وعدم تجاوزها.

(١) من فضل الله عز وجل على عباده أنه جعل النية الصالحة طريقاً للفلاح، وإذا عمل العبد شيئاً من المباحات بنيَّة صالحة أصبحت عبادة وقربة ينال بها الأجر، ولهذا قال الإمام عبدالله بن المبارك : (رُبَّ عمل صغير تعظمه النية، ورُبَّ عمل كبير تصغره النية)، وقال زبيد اليامي : (إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء، حتى في الطعام والشراب) ينظر : ربيع القلوب - للمؤلف – ص/ ٣٥.

وراعِ عواقب الأمور، يهُنْ عليك الصَّبر عن كلِّ ما تشتهي وما تكره، وإن وجدت من نفسك غفلة فاحملها إلى المقابر، وذكِّرها قُرب الرَّحيل .

فاجتهد أن لا تخيِّب ظنِّي فيما رجوتُه فيك ولكَ . وقد أسْلمتُكَ إلى الله سبحانه، وإيَّاه أسأل أن يوفقك للعلم والعمل، وهذا قدرُ اجتهادي في وصيَّتي، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم .

obeikandl.com

وصية الإمام ابن قدامة المقدسي

بين يديك – أخي الحبيب – كلمات تهتز لها القلوب، وتخشع لها النفوس، إنها قطوف من وصية نابعة من قلبِ عالمٍ جليل، انتفعت بعلومه الأمة جيلاً بعد جيل، قال عنه الذين ترجموا لسيرته : (من رآه كأنه رأى بعض الصحابة، وكأنما النور يخرج من وجهه، كثير العبادة، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه)[١٤٨].

وإليك مختارات من هذه الوصية النفيسة :

(اعلم – رحمك الله – أن هذه الدنيا مزرعة الآخرة، ومتجر أرباحها، وموضع تحصيل الزاد منها والبضائع الرابحة، بها برز السابقون، وفاز المتقون، وأفلح الصادقون، وربح العاملون، وخسر المبطلون.

واعلم – رحمك الله – أنَّ أهل القبور أمنية أحدهم أن يُسبِّح تسبيحة تزيد في حسناته، أو يقدر على توبة من بعض سيئاته، أو ركعةٍ ترفع في درجاته، فاغتنم – رحمك الله – حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة .

---

(١٤٨) ولد الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي سنة (٥٤١هـ) في إحدى قرى مدينة نابلس، وهاجر مع أهله منذ صغره إلى دمشق، وتوفي سنة (٦٢٠ هـ) وله ما يقارب خمسين مؤلفاً، من أبرزها كتاب (المغني) في الفقه، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : (لم يدخل الشام بعد الأوزاعي فقيهٌ أعلم من موفق الدين) .

وانظر ترجمته مع نص هذه الوصية كاملة في كتاب : (وصية العالم الجليل موفق الدين ابن قدامة المقدسي) تحقيق : محمد خير رمضان يوسف – طبع دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، وتقع الوصية في أكثر من خمسين صفحة، وقد اكتفيت باختيار فقرات منها مع إضافة بعض العناوين الجانبية المناسبة.

openkandi.com

واعلم أنَّ مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكلُّ نَفَسٍ ينقص بـه جـزء منـك، والعمـر كلـه قصير، والباقي منه هو اليسير[١٤٩] .

فاجتهد – رحمك الله – أن تكون من الذين استوعبوا الساعات بالطاعات، ولم يفرطـوا في شيء مـن الأوقات .

وألْزِم قلبك الفِكر في نِعم الله لتشكرها، وفي ذنوبك لتستغفرها، وفي تفريطك لتندم، و في مخلوقـات الله وحِكَمه لتعرف عظمته وحِكمته ...

وألزم لسانك ذكر الله تعالى، ودعاءَه واستغفارَهُ، أو قراءة قرآنٍ، أو علمٍ أو تعليم، أو أمـرٍ بمعـروف أو نهي عن منكرٍ، أو إصلاحٍ بين الناس .

وأَشْغِل جوارحك بالطاعات، وليكن من أهمها الفرائض في أوقاتها على أكمل أحوالها، **ثم ما يتعدَّى نفعُهُ إلى الخلق، وأفضل ذلك ما نَفَعهم في دينهم**،كتعليمهم الدين وهدايتهم إلى الصراط المستقيم .

مفسدات الأعمال :

واحترس من مفسدات الأعمال، لئلا يَفسُدَ عملُكَ ويخيبَ سعيُكَ، فلا تحصلَ على أجر العاملين ولا راحة البطَّالين، وتفوتك الدنيا والآخرة .

ولا تحقرنَّ مسلماً، ولا تظننَّ أنك خير منه، فإن ذلك ربما أحبط عملك ...

واعلم أن الله تعالى ناظرٌ إليك، مطَّلعٌ عليك، فقل لنفسك : لو كان رجلٌ من صـالحي قـومي يـراني لاستحيت مُنه، فكيف لا أستحي من ربي تبارك وتعالى، ثم لا آمن تعجيل عقوبته وكشفَ سِتره ؟ .

احذر من كفران النعمة :

واعلم أنك لا تقدرُ على معصيته إلا بنعمته .

فكم له عليك من نعمة في يدك التي مددتَها إلى معصيته ؟

---

(١٤٩)وقد قال الشاعر :

إذا كنـــت أعلـــم علـــماً يقينـــاً ... بـــأن جميـــع حيـــاتي كـــساعة

فلِـــمْ لا أكـــون ضـــنيناً بهـــا ... فأجعلهـــا في صـــلاحٍ وطاعـــة؟

وكم من نعمةٍ في عينك التي نظرت بها إلى ما حرَّم عليك ؟

وفي لسانك الذي نطقت به بما لا يحلُّ لك ؟

وليس من شكر إنعامه أن تستعين به على معاصيه .

ولو لم يكن من نِعمهِ عليك في معصيتك إلا سترها عليك لكفى، فلو اطَّلَع الناسُ عليك لا نهتكْتَ .

أسلوب تربوي بديع :

وقد روي أن رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم فقال: (يا أبا إسحاق إنني لا أصبر عن المعاصي، فقل لي قولاً أنتفعُ به !

قال : نعم، أقول لك خمسَ خصالٍ، إن قدرتَ عليها لم تضرَّكَ معصية !

قال : هات .

قال : **إذا أردت أن تعصيَ الله فلا تأكل رزقهُ !**

قال : يا أبا إسحاق فمن أين آكل وكلُّ ما في الأرض من رزق الله ؟!

قال : أفيحسنُ أن تأكلَ رزقَه وتعصيه ؟

قال : لا . هاتِ الثانية .

قال : **إن أردتَ أن تعصيه فلا تسكن بلاده !**

قال : هذه أشدُّ من الأولى ! إذا كانت السموات والأرض وما بينهما وما فيهما له فأين أسكن ؟

قال : يا هذا، أفيحسنُ أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ؟

قال : لا . هاتِ الثالثة .

قال : **فإذا أردت أن تعصيه فانظرْ موضعاً لا يراك فاعصه فيه !**

قال : يا أبا إسحاق، فكيف أصنعُ وما في السماء والأرض والجبال والبحار موضعٌ إلا وهو بارزٌ له، يرى ما في قعر البحار، وتحت أطباق الجبال ؟

قال : يا هذا، أفيحسنُ أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتجاهر بمعصيته؟

obeikandl.com

قال : لا . هاتِ الرابعة .

قال : **إذا جاءك ملَكُ الموت ليقبض روحك فقل : أخِّرني حتى أتوب !**

قال : لا يقبلُ مني .

قال : يا هذا، فإذا كنتَ تعصيه، ولا تأمن مفاجأة الموت، ولا يقبل منك فيؤخِرَكَ، فتموتَ على غير توبة، فكيف يكون حالك ؟!

قال : هاتِ الخامسة .

قال : **إذا جاءتك الزبانيةُ ليأخذوك إلى النار فلا تمضِ معهم !**

قال : لا يَدَعونني .

قال : فإذا كنت لا تقدر على الامتناع منهم، ولا تدعُ المعصية، فكيف ترجو الخلاص ؟

قال : حسبي .

ولزم إبراهيم بن أدهم، فعبد الله حتى مات !) .

التعجيل بالتوبة :

وإن ابتليتَ بمعصية فبادر إلى التوبة والاستغفار والندم، وابكِ على خطيئتك...

كان بعضهم يقول : (لا تنظر إلى صغرِ الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت) [١٥٠] ....

واعلم يا أخي أن الخطر عظيم، والخطبَ جليلٌ، وأننا قد عُرضنا لأمرٍ لا تقوم له الجبال الشوامخ، ولا الأرض العريضة، ولا السماء الرفيعة، ولا البحار الواسعة، وحَمَلْنا أمراً أشفقت من حملهِ السموات

---

(١٥٠) وما أبدع قول الشاعر: المعتز رحمه الله :

خلِّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماشٍ فوق ... أرضٍ الشوك يحذر ما يرى

لاتحقرنَّ صغيرةً ... إن الجبال من الحصى

obeikandi.com

والأرض والجبال: M فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا L [١٥١].

وكيف حالُ من تشعلُ النارُ في جسده كله، كلما نضج جلده بُدِّل جلداً غيره، يُسحب في حميم، قد انتهى حرُّه على جسده ووجهه، ويُصبُّ من فوق رأسه، فيُصهرُ به ما في بطنه، ويُنتزع عنه جلده، ثم يُسْجَرُ في نارٍ تُشعل في جسمه وجلده ووجهه، ثم لا غالِبَعَذابها، ولا يفترُ عنهم ولا يرجون منها فرجاً.

قال الله تعالى: M إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ L [١٥٢].

الدعاء سلاح المؤمن:

وليكن دُعاؤك بخضوعٍ وخشوعٍ وبكاءٍ وتضرُّع، فإنَّ بعضهم قال: (إني لأعلم حين يستجيب لي ربي عزَّ وجلَّ: إذا وَجِلَ قلبي، واقشعرَّ جلدي، وفاضت عيناي، وفُتحَ لي في الدعاء) [١٥٣].

واعلم أن مَن في البحر على لوحٍ ليس هو بأحوجَ إلى الله تعالى ولطفه ممن هو في بيته وبين أهله وماله ...

وإذا سألت الله فاسأله وأنتَ موقنٌ بأنه مطلعٌ عليك، ناظرٌ إليك، سامعٌ لدعائك، قريب منك، قادرٌ على إجابتك، لا يتعاظمه شيء.

وإذا سألته أمراً فاسأله الخِيرةَ فيه، فإنك لا تدري ما يكون لك فيه، وإذا شاء الله تعالى أعطاك رغبتك وخَارَ لك في ذلك، فيجمعُ لك بين الأمرين.

فإن لم يعجِّل لك الإجابة فلا تيأس من الإجابة، ولا تملَّ من السؤال.

---

(١٥١) سورة الأحزاب / ٧٢.

(١٥٢) سورة الزخرف / ٧٤-٧٧.

(١٥٣) وقد بيَّن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أن الدعاء مفتاح توفيق الله للعبد، فإذا فتح الله على العبد في الدعاء والافتقار وصدق الالتجاء فقد أراد أن يفتح له باب الإجابة، ولهذا قال عمر بن الخطاب t: (إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن همَّ الدعاء، فإذا أُلهمت الدعاء فإن الإجابة معه) والمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم [الفوائد لابن القيم – ص/ ٩٦].

واعلم أن الله تعالى إذا نظر إليك وعلم أنك قد جعلته معتمدك وملجأك، وأفردتهُ بحوائجك دون خلقه، أعطاك أفضل ما سألته، وأكرمك بأكثر مما أردته.

فإن عجَّل لك الإجابة فقد جمع لك بين قضاء الحاجة وخير الدنيا والآخرة، وإن لم يُجبكَ عاجلاً فقد عوَّضكَ عن ذلك خيراً منه، فأنت على خيرٍ في الحالين.

اغتنام أوقات الأسحار :

واعلم - رحمك الله - أن هذه الدنيا سوقُ متجرِ الأبرار، وحَلَبَةُ السباق بين الكرام الأخيار، ومحلُّ تحصيل الزاد للسفر الذي ليس كالأسفار .

فبادر رحمك الله قبل فوات إمكانِ البِدار، واغتنم أنفاسك العظيمة المقدار، وأذرِ دموعك[١٥٤] على ما سلف من تفريطك، فإن القطرة من الدموع من خشية الله تعالى تُطفىء البحور من النار .

وتيقَّظ في ساعات الأسحار عند نزول الجبار، وأَحْضِر بقلبك قول العزيز الغفار: (هل مِنْ سائلٍ فأعطيَه؟ هل من داعٍ فأستجيبَ لـه؟ هل مِنْ مستغفرٍ فأغفرَ له ؟)[١٥٥].

وقد قال الشاعر:

وإني لأدعو الله والأمر ضيقٌ ... عليَّ فما ينفكُّ أن يتفرجا

ورُبَّ فتى سُدِّتْ عليه وجوهه ... أصاب لها في دعوة الله مخرجا

قلْ : نعم يا رب ! أنا السائل المحتاج .

أنا الفقير الضعيف .

أنا الكسير الذليل .

---

(١٥٤) أذرت العين دمعها : أسالته .

(١٥٥) جزء من حديث قدسي رواه البخاري رقم/١٠٧٧ ورواه مسلم رقم/١٢٦١ وأحمد في المسند رقم /١٧٢٣٤ ومالك في الموطأ رقم/٤٤٧ وأصحاب السنن.

openkandil.com

أنا الداعي الراجي .

أنا المستغفر المذنب .

أنا المقرُّ المعترف .

ارحم ضعفي وكبر سني .

ارحم فقري وفاقتي وحاجتي ومسكنتي .

يا كثير الخير، يادائم المعروف، لا تخيِّب ظنِّي بك، ولا تحرمني سعة معروفك، ولاتطردني عن بابك، ولا تُخرجني من أحبابك .

أسألك من فضلك العظيم، فإنك قلت وقولك الحق: M وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ L [١٥٦].

إلهي ! ما أَمرتَني أن أسألك إلا وأنتَ تريد أن تعطيني، ولا دَلَلتني عليك إلا وأنت تريُد أن تهديني !

ولا أمرتَني بدعائك إلا وأنت تريد أن تجيبني !

أسألك من فضلك أن تجعلني من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وأن تجعلني من الذين تحبُّهم ويحبونك M أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ L [١٥٧] ومن الأئمة الذين يهتدون بأمرك .

---

(١٥٦) سورة النساء آية/ ٣٢ .

(١٥٧) سورة المائدة أية / ٥٤ .

وصايا فريدة وحكم مفيدة

من لطائف اختيارات الأمير أسامة بن منقذ (المتوفى ٥٨٤هـ) ما أورده في كتابه (لباب الآداب) عن أبي الحسن علي بن محمد الصغاني أنه قال :

(من قعد عن حيلته أقامَتْه الشدائد، ومن نام عن عدوِّه أنبهته المكائد، ومن سالم الناس سَلِم، ومن قدَّم الحزم غَنِم، ومن لَزِم الحِلم لم يَعْدَم السِّلم، ومن ضعُف رأيه قويَ ضدُّه، والتجربة مرآة العقل، والصبر على الغُصَّة [١٥٨] يؤدي إلى الفرصة، ومن استرشد غوِياً ضلَّ، ومن استنجد ضعيفاً ذلَّ، ومن ضلَّ مُشيرُه قلَّ نصيرُه، والأناة حُسْنٌ، والتودُّد يُمْنٌ، من نام عن نصرة وليِّه انتبه بوطأة [١٥٩] عدوِّه، ومَن دام كسلُه خاب أملُه، والعَجُول مخطىء وإن مَلَك، والمُتَّئِد مصيبٌ وإن هلك، ومَن بانَ عجزُه زال عِزُّه، ومِن أمارة الخذلان معاداة الإخوان، ومن كثُرتْ مخافتُه قلَّتْ آفتُه، والرِّفق مفتاح الرزق، ومن نظر في العواقب سَلِم من النوائب[١٦٠]، ومن فعل ما شاء لقي ما ساء[١٦١]، ومن كتم سرَّه أحكم أمرَه، ومن كَثُرَ اعتبارُه قلَّ عِثَارُه[١٦٢]، ومَن أحكمَ التجارب أحمد العواقب[١٦٣]،

---

(١٥٨) الغُصَّة : ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب، والمراد : الأمر العسير الشديد .

(١٥٩) وطأة العدو : غزوه، مأخوذ من وطىء الشيء : أي داسه بقدمه .

(١٦٠) النوائب : جمع نائبة، وهي ما ينزل بالإنسان من مصائب وأخطار .

(١٦١) أي : من فعل ما تهواه نفسه دون تفكير بالعواقب والتزام بأمر الشرع، واستشارة لأهل الخبرة فإنه سينال جزاء فعله سوءاً وخسراناً .

(١٦٢) عِثاره : أي تعثُره، يقال عَثَر به فرسه، أي : زلَّ وكبا . والاعتبار : الفرض والتقدير، والمعنى من يقدر الأمور ويتأمل قلت أخطاؤه وزلاته.

(١٦٣) أي : وجد العواقب حميدة .

القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير، عزيمة الصبر تطفىء نار الشر، فإن الصبر على ما تكرهه وتجتويه[١٦٤]، يؤدِّيك إلى ماتحبُّه وتشتهيه).

إذا استشرتَ الجاهل اختار لك الباطل، ومن اغترَّ بحاله قصَّر في احتياله، ومن اقتحم الأمور لقيَ المحذور، ومن استعان بذوي العقول فاز بدَرَكِ المأمول[١٦٥]، ومن استشار ذوي الألباب سلك الصواب، ومن جهل قدرَه جهل كلَّ قدر، والحازم من حفظ ما في يده، ولم يؤخِّر شغل يومه إلى غده، ومن طلب ما لا يكون طال به تعبُهُ، ومن فعل ما لايجوز كان فيه عطَبُه[١٦٦] .

لا تثقْ بالصديق قبل الخبرة، ولا تُوقعْ بالعدوِّ قبل القُدرة، وإذا أشكلت عليك الأمور فارجع إلى رأي العقلاءوافزع إلى استشارة النصحاء، ولا تأنفْ من الاسترشاد، فَلأَن تسألَ وتسلمَ خيرٌ مِن أن تستبدَّ وتندم، ومن نصحك فلا تستَبدلْ به، ومن وعظك فلا تستوحش منه، فمن نصحك أحسن إليك، ومن وعظك أشفق عليك .

واعلم أنَّ الأيديَ بأصابعها، فلا يغرنَّك كِبرُ الجسم ممَّن صغُر في المعرفة والعلم، ولا طولُ القامة ممن قصَّر في الكفاية والاستقامة [١٦٧]) .

---

(١٦٤) تجتويه : تكرهه نفسك وتبغضه .

(١٦٥) دَرَك المأمول : إدراك ما يأمله ويرغب فيه .

(١٦٦) العطب : أي الهلاك والفساد .

(١٦٧) لباب الآداب – ص/٦٨ – دار الكتب العلمية .

من وصايا الإمام ابن قيم الجوزية

حفلت كتب الإمام شمس الدين بن قيم الجوزية[١٦٨] بالنفائس، وفرائد الوصايا وبدائع الحكم، وستجد في هذه الفقرات المختارة خير شاهد على ما حظي به هذا الإمام المربي من نظر ثاقب وقلب يقظ، فهو الطبيب الحاذق لأمراض النفوس.

ومن نفائس وصاياه ودُرَرِ عطاياهُ قوله رحمه الله :

(كم جاء الثواب يسعى إليك! فوقف بالباب، فردَّه بوابُ " سوف ولعلَّ وعسى[١٦٩]".

كيف الفلاح بين إيمان ناقص، وأمل زائد، ومرضٍ لا طبيب له ولا عائد[١٧٠]، وهوىً مستيقظ، وعقل راقد، ساهياً في غمرته، سابحاً في لجّة جهله، مستوحشاً من ربه، مستأنساً بخلقه ..) [١٧١].

ثم يقول رحمه الله :

(إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنِ أنتَ بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنِسوا بأحبابهم فاجعل أُنسكَ بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرَّف أنت إلى الله وتودَّدْ إليه تنَلْ غاية العز والرفعة) [١٧٢].

ومن وصاياه البديعة قوله رحمه الله:

(اشتر نفسك اليوم، فإن السوق قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق

---

(١٦٨) هو الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – المتوفى سنة ٧٥١هـ.

(١٦٩) إشارة إلى آفة التسويف وتأجيل عمل اليوم إلى الغد، وقد قال الحسن البصري رحمه الله : (إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غدٌ لك فكن في غدٍ كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غدٌ لم تندم على مافرطت في اليوم) اقتضاء العلم العمل – للخطيب البغدادي – ص/١١٣ .

(١٧٠) العائد : الزائر الذي يعود المريض.

(١٧١) الفوائد ص/٦٢.

(١٧٢) الفوائد ص/١١٦.

obeikandi.com

والبضائع يومٌ لا تصلُ فيه إلى قليل ولا كثير : M يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ L [١٧٣] M g L k j i h [١٧٤]).[١٧٥].

وقوله أيضاً:

(لو صحَّتْ محبتك لاستوجشتَ ممن لا يذكِّرك بالحبيب، واعجباً لمن يدِّعي المحبة، ويحتاج إلى من يذكِّره بمحبوبه، فلا يذكره إلا بمذكِّر، أقل ما في المحبة أنها لا تنسيك تذكر المحبوب)[١٧٦].

(١٧٣) سورة التغابن آية / ٩.

(١٧٤) سورة الفرقان آية / ٢٧.

(١٧٥) الفوائد ص/٨٩.

(١٧٦) المرجع السابق- ص/١٤٨ .

obeikandl.com

وصية العلامة الشيخ
محمد شاكر لطلاب العلم

من بدائع الوصايا رسالة ألَّفها فضيلة الشيخ محمد شاكر، شيخ علماء الإسكندرية، والمتوفى سنة ١٣٥٨هـ، بعنوان: (**الدروس الأولية في الأخلاق المرضيَّة**) وإليك قطوفاً مختارة من هذه الوصايا، فاقرأها وتدبَّر معانيها، واحرص على العمل بما فيها، فهي وصية من أستاذ قدير لتلاميذه من طلاب العلم الشرعي ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم، حيث يقول رحمه الله [١٧٧] :

(يا بُنيَّ: أرشدك الله، ووفقك لصالح الأعمال، إنَّك منِّي بمنـزلة الولد من أبيه.

يسرُّني أن أراك صحيح البِنْيَة، قويَّ الإدراك، زكيَّ القلب، مهذَّب الأخلاق، محافظاً على الآداب، بعيداً عن الفحش في القَوْل، لطيف المعاشرة، محبوباً من إخوانك، تواسي الفقراء، وتُشفق على الضعفاء، تَغفرُ الزلَّات، وتعفو عن السيئات، ولا تفرِّط في صلاتك، ولا تـهمل في عبادة ربك .

يا بُنيَّ : إنْ كنتَ تقبل نصيحةَ ناصحٍ ، فأنا أحقُّ مَنْ تَقبلُ نصيحتَهُ .

أنا أستاذك ومعلِّمُكَ ومُرَبِّي روحك، لا تجد أحداً أحرص على منفعتك وصلاحك مني.

يا بُنيَّ: إذا لم تتَّخذني قدوةً فبمن تقتدي؟! وعلامَ تُجهد نفسك في الجلوس أمامي؟!

يا بُنيَّ : إنَّ الأستاذ لا يحب من تلاميذه إلا الصالح المؤدب، فهل يَسُرُّك أن يكون أستاذك ومربيك غيرَ راضٍ عنك، ولا طامع في صلاحك ؟

يا بُنيَّ : إني أحبُّ لك الخير، فساعدني على إيصال الخير إليك بالطاعة والامتثال لما آمرك به من مكارم الأخلاق .

---

(١٧٧) وصايا الآباء للأبناء، أو : الدروس الأولية في الأخلاق المرضية، تأليف الشيخ محمد شاكر، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة المعارف بالرياض - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

وقد كتب هذه الوصية سنة ١٣٢٦هـ أي قبل وفاته بأكثر من ثلاثين سنة .

obeikandl.com

يا بُنيَّ : الخُلق الحسن زينةُ الإنسان في نفسه وبين إخوانه وأهل عشيرته، فكن حسن الخُلق، يحترمك الناس ويحبوك .

يا بُنيَّ : إذا لم تُزَيِّن عِلمكَ بكرم أخلاقك كان عِلمُكَ أضرَّ عليك من جَهْلك، فإنَّ الجاهل معذورٌ بجهله، ولا عُذر للعالم عند الناس إذا لم يتجمَّل بمحاسن الشِّيَم [١٧٨].

الوصية بتقوى الله عز وجل :

يا بُنيَّ : إنَّ ربك يعلم ما تُكِنُّهُ في صدرك، وما تعلنه بلسانك، ومُطَّلع على جميع أعمالك، فاتَّق الله - **يا بُنيَّ** - واحْذَر أن يراك على حالة لا تُرضيه .

احذر أن يسخط عليك ربُّك الذي خلقك ورزقك ووهبك العقل الذي تتصرَّف به في شؤونك .

كيف يكون حالك إذا اطَّلع عليك أبوك وأنت تفعل أمراً نهاك عنه ؟ أما تخشى أن يُشدِّدَ عليك العقوبة ؟ فليَكُنْ حالك مع الله كذلك، لأنه يراك من حيث لا تراه، فلا تُفرِّط في شيء أمرك به، ولا تَمُدُّ يدك إلى شيء نَهاك عنه .

يا بُنيَّ : إنَّ في طاعة الله من اللَّذة والراحة مالا يُعرف إلا بالتجربة .

فيا بُنيَّ : استعمل طاعة مولاك لتُدرك هذه اللَّذة، وتشعُرَ بهذه الراحة، وتَعلمَ إخلاصي لك في النصيحة .

يا بُنيَّ : **انظر إلى نفسك حينما كنت في المكتب : تتعلم القراءة والكتابة، وتُؤمَر بحفظ القرآن الكريم غيباً**، ألم تكنْ إذْ ذاك تكرَهُ المكتب والمعلِّمَ، وتتمنَّى أن تكون مُطلق السَّراح ؟ فها أنت اليوم قد بلغتَ الدرجة التي عرفت بِهَا فائدة الصبر على التَّعلُّم في المكتب، وعلمتَ أنَّ مُعلِّمَكَ كان ساعياً فيمصلحتك.

فيا بُنيَّ : اسمع نصيحتي، واصبر على طاعة الله كما صبرتَ على التعلم في المكتب، وسوف تعلمُ فائدة هذه النصيحة .

---

(١٧٨) الشيَم : الأخلاق والطبائع .

openkanan.com

حقوق الوالدين :

يا بُنيَّ: مهما تكبَّدت من المشقَّات في خدمة أبيك وأمك، فإنَّ حقوقهما عليك فوق ذلك أضعافاً مضاعفةً: M فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا L [١٧٩].

يا بُنيَّ : انظر إلى الطفل الصغير، وإلى إشفاق أبويه عليه، واعتنائهما بصحته وطعامه وشرابه، وملاذِّه في ليله ونهاره وصحته وسَقَمِهِ، تَعلمْ مقدار ما قاسى أبواك في تربيتك حتى بلغتَ مَبلغ الرجال .

يا بُنيَّ : احذر كلَّ الحذر أن تُغضب أباك، أو تُغضب أمك، إنَّ غضب الله مقرونٌ بغضب الوالدين ؛ ومَنْ غضِبَ الله عليه فقد خسر الدنيا والآخرة .

يا بُنيَّ : إنَّ أشدَّ الناس حباً لك هو أبوك الذي تولَّى تربيتك صغيراً، وسلك طريق الرشاد في تعليمك، حتَّى صرتَ من طلاب العلوم الدينيَّة، فاحرص على قبول نصائحه، فهو أدرى منك بما يُصلحك وما ينفعك وما يَضرُّكَ .

حقوق الصحبة :

يا بُنيَّ: ها أنت قد أصبحت من طلبة العلم الشريف، ولك رفقاء في درسك، هم إخوانك وهم عشيرتك، فإياك أن تؤذيَ أحداً منهم أو تُسيء معاملته .

يا بُنيَّ : إذا جلست للدَّرس فلا تضايق أحداً من إخوانك، وافسَحْ له في المكان حتى يتمكَّن من الجلوس ؛ فإنَّ مضايقة الإخوان في مجالسهم توغرُ الصدور، وتولِّدُ الأحقاد، وتثير الشرور .

يا بُنيَّ : إنَّ لك من إخوانك من يشاركك في المسكن والمبيت، فاحرص على راحة إخوانك في مساكنهم، وإذا جاء وقت النوم فلا تزعجهم بالمطالعة والمذاكرة، واطلب لهم من الراحة ما تطلبه لنفسك .

---

(١٧٩) سورة الإسراء / الآيتان ٢٣-٢٤ .

obeikandl.com

آداب طلب العلم الشريف

يا بُنيَّ : إذا شرع الأستاذ في قراءة الدرس فلا تتشاغل عنه بالحديث، ولا بالمناقشة مع إخوانك، وأَصْغِ إلى ما يقوله الأستاذ إصغاءً تاماً، وإياك أن تشْغلَ فكركَ بشيء آخر من الهواجس النفسية أثناء الدرس، وإذا أشكلتْ عليك مسألة بعد تقريرها فاطلب من الأستاذ بالأدب والكمال إعادَتَها، وإياك أن ترفع صوتك على أستاذك، وأن تُنازعه إذا أعرض عنك ولم يلتفت إلى قولك .

يا بُنيَّ : إذا خرج التلميذ عن حدِّ الأدب بين يدي أستاذه، سقطت قيمته عند أستاذه، وعند إخوانه، واستحق ّ التأديب والزجر على قلَّةِ أدبه .

يا بُنيَّ : زينةُ العلم التواضع والأدب، فمن تواضع لله رفعه، وَحبَّبَ فيه خلقه، ومن تكبَّر وأساء الأدب سقط من أعين النَّاس، وبغَّضهُ الله إليهم(١٨٠)، فلا يكاد يجد إنساناً يكرمه أو يشفق عليه، **وإذا خلوتَ بنفسك فأكثر من الدعاء والابتهال إلى الله تعالى أن يرزقك العلم النافع والعمل به .**

أدب المطالعة والمذاكرة :

يا بُنيَّ : أَكْثِر من المذاكرة لما حصَّلتَ من العلوم، فإنَّ آفة العلم النسيان .

واعلم أنَّك في نِهاية العام ستُمتحن في كل معلوماتك، وعند الامتحان يُكرم المرء إذا أحسن الإجابة، ويستهين به أهله وإخوانه إذا لم يحسن الجواب، وظهر أنَّه مفرِّط في التحصيل.

يا بُنيَّ: إياك أن تكون مذاكرتُك عبارة عن حفظ ألفاظٍ لا تعقل معناها، ولكن اجعل هِمَّتك موجهة إلى تَعقُّل المعاني وتثبيتها في ذهنك، فإنَّ العلم هو ما تفهمه لا ما تحفظه.

---

(١٨٠) وما أبدع قول الشيخ نجم الدين الغزي رحمه الله :

تواضَعْ تكن كالنجم لاحَ لناظرٍ ... على صفحات الماء وهو رفيعُ

ولاتكُ كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيعُ

أدب المجالس :

يا بُنيَّ : انظر إلى نفسك : إذا كنت في بيتك مثلاً تعمل عملاً تحب أن لا يطَّلع عليه أحدٌ غيرك، ففاجأك إنسان بالدخول عليك، ألستَ تحسُّ بثقله، وتتمنَّى ذهابه ؟ فكذلك حالُك إذا غشيتَ قوماً بدون استئذان ولا رغبة منهم في وجودك معهم .

يا بُنيَّ : إذا دُعيت لِمجالسة قوم، وكنتَ أصغرهم سناً، فلا تجلس حتى يأذن لك القوم بالجلوس، وإذا جلستَ فلا تزاحم أحداً من جلسائك ... ولا تناقش جلساءَك إلا بالأدب والتحفُّظ من عَثَرات اللسان .

وإيَّاك والقهقهة في المجالس، فإنها من أخلاق السَّفلة ورعاع النَّاس، وأَقلِلْ من المُزاح جُهدَكَ، فإنَّ كثرة المزاح تَذهب بالاحترام، وربَّما أَوْغرتْ صدور بعض الناس عليك .

يا بُنيَّ : لا تُجالس من الناس إلا أهل المروءة والشرف والعفَّة والكمال، وإيَّاك ومخالطة السفهاء ومجالستهم، واحذر مجالس الغيبة والنميمة جهدك، ولا تجالس أحداً من الفُسَّاق والفجَّار، وإيَّاك ومعاشرة أهل الخُبث والدسائس والنفاق، **فإنَّ الأخلاق السيئة تسري في الجلساء كما تسري النار في الحطب .**

آداب العبادة و المساجد :

يا بُنيَّ : كن حريصاً على أداء الصلاة المفروضة في وقتها مع الجماعة ... واعلم أنك في حال الصلاة تُناجي ربَّكوأنت واقفٌ بين يديه، فإياك وهواجس الشيطان .

يا بُنيَّ : إنَّ عامة المسلمين ينظرون إلى طلبة العلم الشريف نظرَ الاحترام، ويستعظمونَ كل صغيرة تقع منهم ؛ فإياك – يا بني – أنْ تُسلِّط ألسنة العامة على نفسك، لا ترفع صوتك في المسجد، فإنَّ ذلك من العامي قبيح، وهو من طلبة العلم الشريف أقبحُ وأشدُّ نكراً، ولا تخاصم أحداً من إخوانك، ولا تنازِعْه، ولا تضيِّق على مسلم يريد أن يتعبَّد في بيت مولاه **U** .

فضيلة الصدق :

يا بُنيَّ : احرص على أن تكون صادقاً في كل ما تُحدِّث به غيرك، حِرْصَكَ على نفسك ومالك[١٨١]، فإن الكذب شرُّ النقائص والمعايب .

يا بُنيَّ : إذا فعلت أمراً تستحق عليه عقوبةً من أستاذك، فلا تكذب عليه إذا سألك، ولا تُحاول إلصاق الذنب بأحد من إخوانك، فربما قام البرهان على كذبك فتستحق العقوبة مضاعفة : عقوبة الذنب، وعقوبة الكذب، وهيهات أن تُنجيك هذه العقوبة من عقوبة ربك الذي يعلم ما تُكِنُّه في صدرك [١٨٢].

يا بُنيَّ : إنَّ الله تعالى قد لعن الكاذبين في كتابه العزيز، فهل ترضى أن تكون ملعوناً عند الله وأنت من طلبة العلوم الدينية ؟

يا بُنيَّ : إذا لم تَخَ ْ من الناس إذا كذبت عليهم، ألا تخاف من مولاك الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟.

واعلم أن الذي يُعرف بالصدق بين قومه وعشيرته وإخوانه يُؤخذ قوله حجةً بلا برهان، ويكون موضعَ عدالةٍ عند الخاصة والعامة، فإن كنت تحبُّ أن تكون موثوقاً بك، فاحرص على أن تكون صادقاً في كل ما تُحدِّث، والله يتولَّى هدايتك وإرشادك إلى الصواب .

فضيلة الأمانة :

الأمانة : - **يا بُنيَّ** - حليةُ أهل الفضل، وزينة أهل العلم، وهي مع الصدق من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام .

يا بُنيَّ : كن أميناً في كل شيء، وفي كل صغيرة وكبيرة، وإيَّاك أن تحدِّث نفسك بالخيانة في عظيم أو

---

(١٨١) أي : مثل حرصك على نفسك ومالك، وقد سبق الحديث عن أهمية الصدق وخطر الكذب في وصية الإمام الباجي رحمه الله لولديه .

(١٨٢) **ما تُكنُّه في صدرك: أي ما تخفيه، قال تعالى:** M وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ L **[القصص: ٦٩] .**

حقير، فلا تفتح محفظة أخيك، ولا صندوق أمتعته في غيبته لمجرَّد الاطِّلاع على ما فيهما، فإنَّ ذلك من الخيانة، ولا تتجسَّس على إخوانك، فإن ذلك من الخيانة، ولا تُصغِ بأذنك إلى اثنين يتسارَّان، فإنَّ ذلك من الخيانة، ولا تطَّلع على خطابٍ باسم غيرك، فإنَّ ذلك من الخيانة .

يا بُنيَّ : لا تخن نفسك، ولا تخن أحداً من الناس، إنّ من خيانتك لنفسك، أن يسألك الأستاذ ليمتحنك، فتنظر في الكتاب اختلاساً ثم تجيبه، كأنك عالم بما سُئلتَ عنه، ومن خيانتك لنفسك أن تجلس مجلس الامتحان، فإذا عجزت عن الجواب اختلستَ مسودة أخيك لتكتب منها، أو سألته همساً ليجيبك .

هذه يا بنيَّ خيانة وجهالة معاً، وغشٌ أيضاً، فليتك إذْ كنت جاهلاً لم تكن خائناً ولا غشّاشاً، فاتَّق – يا بنيَّ – الوقوعَ في مثل هذا، واجتهد في درسك تتعلَّمِ العلم، وتَسْلمْ من الخيانة والغش، والله يتولى هدايتك وإرشادك .

فضيلة العفَّة :

العفَّة - **يا بُنيَّ** - من أخلاق الأخيار، ومن صفات الأبرار، فاحمل نفسك على التخلُّق بِهَا، حتى تصيرَ مَلَكةً راسخة فيك .

يا بُنيَّ : من العفَّة أن تقاوم نفسك وهواك، فلا تنقاد لهما إذا حملاكَ على طلب شيء من اللذات القبيحة التي يتسارعُ إليها أهل الفساد، وينهمكُ في طلبها الأشرار والفجَّار.

فإياك -**يا بُنيَّ**- أن يستهويك الشيطان بمكرهِ، فتقع في أكبر الخطايا، وأنكر المنكرات.

يا بُنيَّ : اقبل نصيحتي هذه، واذكرها كلما عَرَض لك خاطرُ سوءٍ من الخطرات الشهوانية، واستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وتوجَّه إلى الله بعزيمة صادقة، واسأله النجاة من كيد الشيطان وغروره .

الحذر من آفات النفس وأمراضها :

يا بُنيَّ : لكل إنسان عيب، فكما لا تحب ذكر عيوبك في غَيْبتك، يجب أن تصون لسانك عن عيوب الناس في غيبتهم، فاجتنب الغيبة يا بني، واجتنب نظيرتها في الخبث، وهي : النميمة، فلا تسْعَ بالفساد بين الناس . لا تقل لأحد إخوانك : إنَّ فلاناً قال فيك كذا وكذا، وفلاناً رماك بكذا .

يا بُنيَّ : الغيبة والنميمة من أخلاق الأدنياء وأخلاق اللئام، لا من أخلاق طلاب العلوم الدينية، فلا تدنِّس نفسك بهذه الأخلاق الذميمة .

يا بني : الحقد والحسد خُلقان خبيثان لا يضرَّان إلا صاحبهما. فلا الحسد ينقل إليك نعمة من حَسَدْتَه، ولا الحقد بِضَارٍّ من أضمرت له السوء إلا أن يشاء الله، ولكنك إذا كنت حسوداً حقوداً: يكاد يلتهب قلبُك من الغَيْظ ليلَك ونهارك [١٨٣].

يا بُنيَّ : إذا أنعم الله عليك بنعمة فاشكره ولا تتكبَّر على خلْقهِ، فإن الذي وهبك هذه النعمة قادرٌ على سلبها منك، وإنَّ الذي حرم غيرك قادرٌ على إعطائه ضعف ما أعطاك، فلا تتعرض لغضب الله بالتكبر على خلقه، فإن الله لا يحبُ المتكبرين .

سبيل النجاة

يا بُنيَّ : التوبة من الذنب ليست مجرَّد كلمة تقولها بلسانك، ولكنَّ التوبة على الحقيقة: اعترافُك بين يدي مولاك بالخطيئة التي وقعت منك، واعترافك بأنك مذنب مستحق للعقوبة التي قدَّرها الله لهذا الذنب، وأن تشعر بالحزن والندم على ما فَرَط منك، وأن تُعاهد الله على أن لا تعود لمثله أبداً، ثم ابتهل إلى الله أن يصفح عنك فيما سلف، فإن شاء عفا عنك، وإن شاء عاقبك .

هذه - **يا بُنيَّ** - حقيقة التوبة والاستغفار، لا أن تقول بلسانك (تبتُ إلى الله)، وأنت مُصرٌّ على مخالفة مولاك .

يا بُنيَّ : الخوف من الله يحول بين المرء وذنبه، فمن اشتد خوفه من ربه، فقلَّما يقترف خطيئةً من الخطايا .

فخفِ الله - **يا بُنيَّ** - خوفاً يحول بينك وبين مخالفة أمره، ولا تيأس من رَوح الله إذا فَرَطَتْ منك خطيئة، وابتهل إلى الله في سرِّك وجهرك، واسأله العفو والمغفرة، إنَّ ربك غفورٌ رحيم .

---

(١٨٣) ويؤكد ذلك قول ابن المقفَّع: (إنا لم نرَ ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، طول أسفٍ، ومحالفة كآبة، وشدة تحرُّقٍ، ويكدّر على نفسه مابه من النعمة فلا يجد لها طعماً، فهو منغَّص المعيشة، دائم السَّخطة، لا بما قُسم له يقنع، ولا على مالم يُقسم له يَغلب، والمحسود يتقلَّب في فضل الله مسروراً) [عيون الأخبار لابن قتيبة – ٢/ ١٢] .

يا بُنيَّ : اجعل أعمالك كلها لخدمة مولاك الذي خلقك وسوَّاك، ولا تطلب بها غير وجه ربك .

مدارسةُ القرآن وتدبُّر معانيه :

يا بُنيَّ : أكثِر من مدارسةِ القرآن، واحفظ آياته الشريفة عن ظهر قلبك، وإذا قرأتَ القرآن فلا تقرأه وأنت غافلٌ عن معناه، وإذا أشكلَ عليك فهمُ آية فارجع إلى كتب التفسير، أو إلى أحد العلماء لتعلم معناها .

يا بُنيَّ : شتَّان بين من يقرأ ولا يفهم معنى ما يقرؤه، وبين من يقرأ ومعاني القرآن الكريم حاضرةٌ لديه: الأول كالأعمى يمشي في الطريق لا يبصر منها شيئاً، والثاني كصاحب البصر يتَّقي ببصره مواقع الزلل .

يا بني : رُبَّ قارىءٍ للقرآن والقرآن يلعنُه، فما أنزل الله الكتاب العزيز لمجرد التلاوة بلا فهم، ولا لتلاوته مع فهم معناه فقط، ولكن أنزله لامتثال ما أمر به، واجتناب مانهى عنه، وللتخلق بما تضمنته آياته الشريفة من الأخلاق الكريمة، فاقرأ القرآن بقصد امتثال أمره واجتناب نهيه، والتخلق بأخلاقه .

محاسبة النفس :

يا بُنيَّ : حاسب نفسك على ما فعلت قبل أن يحاسبك مولاك، فإذا خلوتَ بنفسك عند النوم، فاذكر ما صنعت في يومك وليلتك، فإن رأيت خيراً فاحمد الله على توفيقه، وإن رأيت شراً فافزع إلى التوبة والندم، وعاهد مولاك على أن لا تعود، واستغفر ربك كثيراً، لعل الله يقبل توبتك ويغفر لك ما تقدَّم من ذنبك.

يا بُنيَّ : أكثرْ من الابتهال إلى الله، والدعوات الصالحات لنفسك ولأبويك ولإخوانك المؤمنين .

وقال: M رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ L [١٨٤] .

اللهم برحمتك عُمَّنا، واكفنا شرَّ ما أهمَّنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفَّنا وأنت راضٍ عنَّا. [١٨٥].

---

(١٨٤) سورة إبراهيم / الآيتان ٤٠-٤١ .

(١٨٥)

كلمات للشباب

للعلامة الشيخ سليمان الندوي

عالم من أبرز علماء الهند، كتب وصية بديعة للشباب عند قدومه للحج عام (١٣٦٨هـ)[١٨٦] يصف فيها واقع المسلمين ويعالج قضاياهم، ومع أن عمر هذه الوصية أكثر من خمسين عاماً لكنها تنبض بالحياة وتشخص أمراض المسلمين، وكأنها كُتبت اليوم .

وإليك – أخي القارىء – قطوفاً مختارة من هذه الوصية النفيسة [١٨٧] :

حيث يقول رحمه الله :

(شباب المسلمين في سائر الأرض مصابون بداء واحد ودواؤهم واحد .المسلمون ليسوا أمة تشبه بقية الأمم، مُتكوِّنةً بالجنسية والنسب والنسل والوطن واللون واللغة، وإنما هم أمة تجمعهم وحدة الدين، أي: وحدة العقيدة، ومبدأ الفكر والخُلق والأدب، وبها قامت هذه الأمة، واستقام أمرها... إن في التاريخ لَعِبراً: حارب الصليبيون المسلمين في ثغور مصر وبلاد الشام..

ولم ينهض لمقاومتهم غير نور الدين الشهيد، وبعده صلاح الدين الكردي فأطاعهم أهل العراق والشام ومصر والحجاز بلا نظر إلى الوطنية والجنسية، فهزموهم بإذن الله وأخرجوهم من بلاد القدس

ثم يقول رحمه الله : فما هو الدواء لهذا الداء ؟

هو ما قاله سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ... إنه

---

(١٨٦) توفي الشيخ سليمان الندوي عام (١٣٧٣ هـ) الموافق ١٩٥٣م،وله كتب ومؤلفات عديدة من أبرزها (الرسالة المحمدية)

(١٨٧) يُنظر كتاب (وصايا أساطين الدين والأدب والسياسة للشباب) جمعها وأعدها: الشيخ عبد الله المزروع – دار المنارة بجدة – ط٢ – ١٤١٢هـ – ص/ ٢٣٥ وما بعدها .

الدعوة إلى الإيمان الكامل والعمل الصالح، وتعمير الخلق الحسن والجهاد في سبيل الله وابتغاء فضله، ونفض غبار الكسل، والسعي الحثيث والعمل المتوالي لكسب الخير وإصلاح السيرة، وتزكية النفس من التحاسد والتباغض ...

ولكن يا أسفا! شبابنا منهمكون في لذات الحياة الفانية ومغرورون بالسراب، ومحتسون ما عند عدوهم من السم الزعاف الناقع[١٨٨] من الترف والدعة واللهو واللعب، والإسراف والتبذير والشهوات، يفرون من شدائد الحياة وجهاد العمل والسعي لمعالي الأمور، يؤمنون بما يبث فيهم عدوهم من الأفكار التي توهن مبادىء دينهم وتفسد أخلاقهم، وتضعف قوة روحهم، ويكفرون بما ترك لهم آباؤهم الكرام من التالد الخالد في العلم والعمل .

فلينتبه الشباب المسلم، وليميِّز بين الحق والباطل والطيب والخبيث، والخير والشر والنافع والضار، وليأخذ ما صفا وليدع ما كدر، وليؤمن بالله وليكفر بالطاغوت، وليتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وليدعُ إلى المعروف ولينْه عن المنكر، وليحتفظ بما عنده من تراث آبائه الكرام ودين أنبيائه عليهم السلام، وليثق بدينه الإسلام، ففيه شفاء الأسقام) .

(١٨٨) السم الزعاف : سريع القتل، وسم ناقع : بالغٌ قاتل .

obeikandl.com

وصية الأستاذ أحمد أمين لولده

من نماذج وصايا المعاصرين وصية الأستاذ أحمد أمين [١٨٩] لابنه في كتابه "إلى ولدي"، والتي يقول فيها:

أهم ما جربتُ في حياتي أني رأيتُ قول الحق والتزامه وتحرّي العدل وعمله يُكسب الإنسان من المزايا ما لا يُقدَّر ، ولقد احتملت في سبيل ذلك بعض الآلام، وأغضبتُ بعض الأنام، وضاعت عليَّ من أجله بعض المصالح، ولكني برغم ذلك كله قد استفدت منه أكثر مما خسرت، لقد استفدت منه راحة الضمير، وثقة الناس بما أقول وأعمل .. فإذا أردتَ أن تنتفع بتجربتي فالتزم الحق والصدق والعدل في جميع أعمالك [١٩٠].

ثم يقول : ومن أهم تجاربي أيضاً أني رأيت كثيراً من الناس يخطئون فيظنون أن المال هو كل شيء في الحياة ... يبيعون أنفسهم للمال ... ويضيعون أعمارهم للمال، ويفرّطون في الفضيلة للمال. وقد أقنعتني التجارب أن المال وسيلة من وسائل السعادة بشرط أن لا تنقلب عبداً له، وأن يبقى المال وسيلة ولا ينقلب إلى غاية [١٩١].

أي بُني ! أكبر ما يؤلمني فيك وفي أمثالك من الشباب أنكم فهمتم الحقوق أكثر مما فهمتم الواجب، وطالبتم غيركم بحقوقكم أكثر مما طالبتم أنفسكم بواجباتكم، والأمة لا يستقيم أمرها إلا إذا تعادل في أبنائها الشعور بالحقوق والواجبات معاً، ولم يطغَ أحدهما على الآخر .

وكل ما ترى في الأمة من فساد وارتباك وفوضى وتدهور نشأ من عدم الشعور بالواجب .. إن العلم

---

(١٨٩) الأستاذ أحمد أمين أديب مصري توفي سنة ١٩٥٤م – ومن مؤلفاته: فجر الإسلام – ضحى الإسلام - الأخلاق – إلى ولدي.

(١٩٠) إلى ولدي - أحمد أمين – ص/١٦.

(١٩١) المرجع السابق – ص/١٩.

لا يفيد في السعادة والرقي إلا إذا صحبهُ الشعور بالواجب، والعلم كالمصباح تكتشف به طريق الهداية، وقد تكتشف به طريق الضلال [١٩٢].

أي بني ! لا تظن أنك تستطيع أن تكون مهندسا عظيماً بقراءتك في الهندسة وحدها، ولا أن يكون زميلك طبيباً عظيماً بقراءته في الطب وحده ... فالعقل وِحدةٌ ... فكم أتتْ فكرة هندسية عظيمة من قراءة كتاب في الأدب أو في الاجتماع، وكم أتت فكرة طبية سامية من ثقافة اجتماعية ... [١٩٣] .

ثم يقول : أليس عجيباً أن تسمع من زملائك أنهم يريدون قتل الوقت بلعب الورق أو بالحديث التافه، أو بالكلام في أعراض الناس، أو نحو ذلك ؟ كأن الوقت عدو يقاتَل، مع أنه المادة الخامة للحياة، وهو أجدرُ بأن يصادَق، لا أن يقاتَل، ولكن كم يجني الإنسان على نفسه بمعاداةِ أحق شيء بالصداقة !.

أي بني : تصوَّر أنك ستعيش بعد ذلك أربعين أو خمسين عاماً ، وتصوَّر ماذا تجني في هذه السنين الطوال إذا أنتَ صرفتَ جزءاً كبيراً منها في تقويم نفسك وتثقيف عقلك، وتصوَّر كيف تخسر إذا أنت صرفتها أو أكثرها فيما يضر ولا ينفع ... [١٩٤]

وسيرة عظماء الرجال مملوءةٌ بالشواهد على التضحية، فلا تكاد تجد عظيماً لم يُضحِّ كثيراً، والله يهديك ويوفقك [١٩٥].

---

(١٩٢)المرجع السابق – ص/٥٦.

(١٩٣) المرجع السابق - ص/٩٨ .

(١٩٤)المرجع السابق - ص/١٠٠-١٠١.

(١٩٥) المرجع نفسه - ص/١٧٢ .

obeikandi.com